قبضاي !

مهزلة ذات فصل واحد

كتبت لتلامذة المدارس

بقلم يوسف غصوب

٢

المشهد السابع

شجاع . رفيق . نفطويه . نديم

رفيق : من أطفأ هذا القنديل ؟

(يضيء القنديل فيظهر في صدر الدار نديم ونفطويه خارجين من الغرفة وبين ايديهما قنينة من النبيذ ، وقد قبض نديم على معصمها وهما يتجاذباها) .

نديم : ما قولك في التنازع ؟

نفطويه : التنازعُ توجُهُ عاملين الى معمولٍ واحدٍ .

(وهما يتجاذبان القنينة اقتربا من شجاع) .

نديم : وايّهما الاحق بهذا المعمول ؟

نفطويه : العاملُ الاقربُ .

نديم : اذا فاترك القنينة ، انا هو العامل الاقرب .

نفطويه : (يترك القنينة) ولكن لا بدَّ للعامل الآخر مما يرضيه .

(يصيح شجاع بين نديم ونفطويه)

نديم : (يصفع نفطويه) خذ هذه ، يا نفطويه ، افترضيك ؟

نفطويه : مكانكَ ، يا لئيمُ ، فانك اهنتني .

نديم : وهل تكبر عن الاهانة ، يا مفعولاً مطلقاً . فانك فضلة في الكلام ، منصوبٌ دائماً للاهانة .

نفطويه : احفظ كلامكَ وإلّا ...

نديم : وإلّا . . . ؟

(يتضاربان فيقع اكثر الضرب على شجاع)

شجاع : (ينتبه مذعوراً كانه يستيقظ من النوم) اين انا ؟ . . .

رفيق : (يفرق نديماً ونفطويه احدهما عن الاخر وهو يخاطب شجاعاً) : رفقاً بهما ، يا شجاع فانهما لا يدريان ما يصنعان . فان الخمرة قد اخذت منهما كل مأخذ (يخاطب نديماً ونفطويه) افي مثل هذه الساعة ؟ . . . أنسيتما ما نحن فيه ؟

نديم : الم تسمع ما قيل في هذا النحوي :

أحرقه الله بنصف اسمه وخلّف الباقي عويلًا عليه ؟

رفيق : (يأخذ نفطويه بيده) هيّا بنا ، نفطويه .

(شجاع يعود الى حالته الاولى)

نفطويه : وحرمةِ الصرفِ والنحوِ ، لولا رفيقٌ ، لأريتكَ الجحيمَ .

(يخرج نفطويه ورفيق)

نديم : ألم يكفك ما لقيت من هذه ؟ (يريه يده)

نفطويه : (من الخارج) سوف يكونُ لكَ يومٌ نتصفُ فيهِ .

رفيق : (من الخارج) هيّا ، نفطويه .

نديم : وافقك النحس الشديد ، يا ابا عمرو وزيد .

المشهد الرابع

شجاع . نديم

نديم : (يأخذ كأساً ، ويصبّ فيها خمرًا ، ويتأملها قليلًا ثم ينشد) :

يا خمرَ ما اجملكِ ! فيكِ المنا .

فالقلبُ اذ واصلكِ ، نال المنا .

دومي لنا ، دومي لنا ، طول المدى .

إن ترحلي ، يا خمرنا ، حلّ الردى .

(يشرب نصف الكأس ويضعها على الخوان . ثم يقترب من شجاع فينظر اليه ويقول على حدة) :

ارى ان الاسد واقع في اشراك الافكار ، آخذ بالكفارة عن تلك الاخبار ، متأمل في عواقب الكذب ونتائجه ، عازم ان لا يعود بعدها الى الاختلاق والافتخار . فلنُنمه هومه بكأس من الخمر الرحيق . (يقترب من شجاع ويهزّه بكتفه) ما لك ، يا اشجع الناس ، تضرب اخماساً لاسداس ، كانك في نحاس ولا نحاس ؟ هل جاءك شيطان يوسواس ، فزعزع من بنائك الآساس ؟ فان كان ذلك ما في الراس ، فعليك بهذي الكاس .

شجاع : (كأنه مستيقظ من النوم) من يكلمني ؟

ندیم : ندیم الناي والعود ، وحليف الحظ والسعود ، وصاحب العلم المعقود ، في جيش الخمر المعهود . تلتفّ حواليه الجنود ، بين وقوف وسجود ، كانه الصنم المعبود . فان نزلت بك شدّة كؤود ، واردت الى الفرج العود ، فقف في ظلّ البنود ، واشرب عصير العنقود ..

شجاع : دعني ، يا ندیم ، واعفني من سجعاتك .

ندیم : اذ ذاك ترى الارض تدور ، بين جنانٍ وقصور ، وقد اخذ منها السرور ، فهي في رقص وحبور ، يستخفها من الطير الهدير ، ومن الجدول الخرير ، ومن الريح الزمهرير ، ومن الاسد الزئير . وكل هذي الامور ، صدرت ونمم الصدور ، عن هذا الكوب المنير ، الحابس هذا النور .

شجاع : أبٍ لك من احمق !

ندیم : او لمثلي تقول هذا ؟

شجاع : لقد ابرمتني بكأسك وعنقودك ، ونورك وزئيرك ، وهديرك وخريرك .

ندیم : ما انت اول واحد ابرمته ، لا ، لا ، وحقك ، لستَ اولَ واحدٍ

كم من فتى قد ذاق طعم مدامتي فغدا يدوّم كالغراب الصائد

وان كنت في شكٍّ مما اقول ، فادن هذا الى شفتيك ، تدُرِ الارض حواليك ، وترقص الامة بين يديك .

شجاع : دعني ، وحقك ، يا ندیم !

نديم : وحق الخمر والشجاعة ، لا بد من هذه الطاعة .

شجاع : اني سكران فلا ترد .

نديم : لك ابوك ، يا احمق ! او لم تسمع ما قال ابو نواس :

وداوني بالتي كانت هي الداء

أو ما قال الاعشى :

وكاس شربت على لذة ، واخرى تداويت منها بها

أو ما قال ابن دريد :

حيناً هي الداء ، واحياناً بها من دائها ، اذا يهيج ، يُشتفى !

أو ما قال المجنون :

تداويت من ليلى ، بليلى ، من الهوى ؛ كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمر

او ما قال صديقك النديم :

لكل داء يا فتى طِبٌّ له يشفيه ؛
والسكر لا يشفيه الّا خمرةٌ منه وفيه .

فاشرب على بركة الله .

شجاع : دعنا والخمر ، يا نديم ، واصدقني فيما انا سائلك افلا توجس خيفة ؟

نديم : خيفة ! وربك ما خُلقت لاخاف ، وهبْ اني كنت اجبن الجبناء ، وعاشرتك ساعة ، بل دقيقة ، بل ثانيةً ، لكفى . افلست الشجاع الشجاعَ قاتل الاسد في آجامها ، ومهلكَ اللصوص في معاقلها . وكيف يتسرّب اليّ الجبن وانا في قربك مستند الى ذراعك ؟

شجاع : صدقت ولكن . . .

نديم : ولكن ؟ . . . وما تعني بلكن ؟ ارى انك تسخر بي او بلغت بك شجاعتك الى اهانتي ؟ وراسي ، ما خلقت للاهانة :

لا تسقني ماء الحياة بذلة ، بل فاسقني بالعز كاس الحنظل ،
ماء الحياة بذلة كجهنم ، وجهنم بالعز اطيب منزلِ !

شجاع : علمَ الله ، ما اردتُ ذلك .

نديم : وايَّ شيء اردت ؟

شجاع : لم ارد شيئاً .

نديم : او تستجهلني الى هذا الحدّ ؟

شجاع : ما بال شيطانك اليوم ، دعني فلم ارد شيئاً .

نديم : ان كنت صادقاً فيما تقول فاشرب هذه الصبابة . (يقدم له الكاس)

شجاع : لا تطيب نفسي .

نديم : طابت او لم تطب ، فاشرب ، وحقّ الشجاعة .

شجاع : اعفني ، عافاك الله !

نديم : لا بدّ لك منها ، والا فانت كاذب .

شجاع : (على حدة) اني اعرفُ منك بذلك . (يأخذ الكاس ويخاطب نديماً) : انك تُركبني مركباً صعباً .

نديم : ان الخمر تهوّنه عليك .

شجاع : (يشرب الكاس) قد ظلمتني ، يا نديم .

نديم : انتقم لك الله . اما الآن ، فغنّني صوتاً تطيب له نفسي . فقد قيل لي انك شجيّ الصوت .

شجاع : (يتنصّت كانه يسمع شيئاً) الم تسمع كأن شيئاً يتحرّك في هذه الغرفة ؟

نديم : هو الهرّ يتصيد الفار ، او هو الفأر ناقب في الجدار ، فاترك الاثنين وشأنهما وغنّني صوتاً يطربني . ما لك لا تحرّك ساكناً ولا تسكن متحركاً ؟ اكذا تكون الالفة والصداقة . وربك انك تكتمني سرّاً .

شجاع : لا لا وحقك ... ولكن ...

نديم : لكن ... ولكن ... وما وراء هذه اللكن ؟ اراك شارد الفكر ، حائر النظر ، ناصب الاذنين ، كانك تنتظر الصاعقة . وحقك قد صعقتني بسكونك ونكدت على ليلتي ، وعكرت صفاء خمرتي (يريه الكاس) الا يسرّك هذا الوجه الصبيح ؟ الا تشوقك هذه الشمس المشرقة ؟ سرّ عنك يا صاح واجلس اليّ ، وغنّني . اعجب كيف لم تلعب الخمر برأسك ، ولم تدر الارض بك ، ولم تبتسم الحياة لك .

شجاع : بلى اشعر بالجبال على رأسي .

نديم : فالقها الى الحضيض .

شجاع : وكيف ذلك ؟

نديم : بكأس من الخمر طافحة .

شجاع : انك تسخر بي في مصابي .

نديم : وما مصابك ، يا صاح ، اجاءك خبر بموت ابيك ؟

شجاع : لا .

نديم : اماتت امك ؟

شجاع : لا .

نديم : اهدم بيتك ؟

شجاع : لا .

نديم : اذهبَ عقلك ؟ وربك ، لم تبقَ مصيبة الا عددتها لك . أهكذا تكون الشجعان ؟

شجاع : دعنا والشجاعة يا نديم .

نديم : ماذا ؟ ادعك والشجاعة ؟ انها لاول مرة سمعت منك ما سمعت ، وما كنت تُسمعني في ما مضى الا قولك : لا اخاف الا هبوط السماء على الارض ، او وثوب الارض الى السماء .

شجاع : (بعد ان يصغي قليلاً) الا تسمع ، يا نديم ، حسيساً وحركة ؟

نديم : بلى وربك (على حدة) قد جاءت الساعة (يخاطب شجاعاً) ما عسى ان يكون ذلك ؟

ماكر : (يصيح من الخارج) : يا فاتك ، أجهز عليه ، فانه لا يستحق الحياة . وانتم اتبعوا الفارّين ولا ترجعوا الا برأسيهما . ومن خالف امري فالويل له ثم الويل .

شجاع : اللصوص اللصوص ...

نديم : اللصوص ؟ ... لله ابوهم قد وقعوا بين يديك . حامك ، يا شجاع .

ماكر : (من الخارج) يا هول ، ويا هويل ، أدخلا بصحبتي فلا بد لنا من لقاء هذا الشجاع .

رفيق : (من الخارج) لو نظرنا في هذه الغرفة ...
ماكر : (من الخارج) حطّم هذا الباب.
شجاع : قد هلكنا ، قد هلكنا . اين المفرّ ؟
نديم : لا خوفَ علينا ، فانهم لا يتجاوزون عدد الاصابع (يُسمع صوت سقوط الباب)
ماكر : (من الخارج) ادخل وانظر، ونحن في انتظارك.
نفطويه : (من الخارج) قد قضى ماكرٌ نحبَهُ !
ماكر : (من الخارج) لا رحمه الله !
شجاع : ويلي ، يا نديم !
نديم : ماذا ؟
شجاع : كيف السبيل الى الفرار ؟
نديم : ماذا ؟ أشجاع يخاف اللصوص ؟
شجاع : اين حسامي ؟ اين حسامي ؟
نديم : هاك حسامك ، يا شجاع . يا ويلهم من حسامك وساعدك . فانهـا لتخلد لك ذكرًا وتسيّر لك اسماً على ممر الدهر (يذهب نحو الغرفة)
شجاع : الى اين يا نديم ؟
نديم : اني ذاهب لاخذ حسامي ، فاني قد تركته في هذه الغرفة .

المشهد التاسع

شجاع وحده

شجاع : اسرع يا نديم فقد هلكنا ... ويلي ... (يدور على المسرح) ترتعد فرائصي خوفاً ... وترتجف رجلاي رعباً .. اين انا ؟ كيف النجاة ؟ . اين المفرّ ؟ .. من يردّ لي الحياة ؟ .. آه ! ربي ! .. ويلي ! .. ويلي ! .. (يختبئ في الصندوق)

المشهد العاشر

ماكر (هائل) ورفيق (هول) نفطويه (هويل) — ثم نديم وشجاع

ماكر : (في ثياب لص) عجباً اما من احد هنا ؟ (يخاطب رفيقاً ونفطويه) تفرّقا في الغرف ، وافتكا بين تجدانه ، ولا تتركا نساء ولا اطفالاً . واحذرا شجاعاً ، فقد قيل لي انه ، اذا استلّ حسامه ، لا يثبت امامه الا من ليس له رغبة في الحياة . (يتفقد الدار) لا ارى احداً هنا ، وانا في حاجةٍ الى الدماء . . . الدماء ، الدماء . . . شرب الدماء . لست مفتقراً الى المال ، اني مفتقر الى الرجال ، اروني رجلاً . . . ما هذا السيف ؟ . . سيف شجاع . . اسمه عليه . . .

رفيق : (يصيح راجماً) شجاع ! شجاع !

نديم : مكانكم يا لئام ، مكانكم . الا تهابون شجاعاً ؟

ماكر : افأنت هو ؟

نديم : يا شجاع ، يا شجاع ، اليَّ ! اليَّ !

ماكر : يا احمق ، ان شجاعاً لا يسمع .

نديم : وراسي ! لو سمعك ، لبراك كما يُبرى القلم .

ماكر : لسانك ، يا وغد ، والّا . . . ان حسامي يتضجّر في قرابه .

نديم : لا بدّ ان يأتيك شجاع ، فترى كيف بريق الصوارم .

ماكر : الق حسامك والّا . . .

نديم : (يلقي حسامه) ان تقتلني ، فورائي شجاع .

ماكر : وامامك شجاع . يا اذلّ من وتد . هاتِ يديك .

نديم : وما تصنع بيديّ ؟

ماكر : اصنع بهما يداً واحدة .

نديم : اني افضّل اليدين .

ماكر : هاتِ والّا ... (يقيّده)

نديم : ان السلاسل في يديَّ م أيا شجاع ، ولا تسارع
ماذا التأمل في اللقا ء ، وانت للاسد تصارع !
كم من عدوٍ قد قتلـ ت ، وكم شهدت من المواقع !
والسيف في يمناك لم تضرب به الّا وقاطع .

ماكر : صه ، يا خبيث ، اما كفاك ندبة واستئاثة ؟ . . (يخاطب رفيقاً وتقطويه) الم ترَ يا احدًا ؟ . . عجبٌ ، اين فرَّ شجاع ؟ . . . ارى خمرًا على هذه الطاولة . فاجلس امامي يا هويل ، واجلس على هذا الصندوق يا هول ، فان لم يكن ناس فكاس .

نديم : أواه ! اواه ! ايا خمرتي ، قد ذاب قلبي عند ذكراكِ
قد متّ ماسورًا ، ولا راحم يصغي لقول التاعس الشاكي .
اين الشجاع ؟ واين صارمه ؟ اين المنا في حسن مرآكِ ؟

ماكر : الا تنتهي ؟ وراسي ان سمعتك بعدها قطعت لسانك . ما لك لا تجلس يا هول ؟

رفيق : ان الصندوق يتحرك .

ماكر : ان عقلك يتحرّك . اجلس .

رفيق : لا ، وحقك يتحرك (يفتح الصندوق فيجتمعون حوله) رجلٌ ، وحقك رجل .

نديم : شجاع في مكمنه . الويل لكم ، ايها اللصوص !

ماكر : (بعد ان يخرج شجاعاً من الصندوق) ما كان ظنّي بك يا شجاع ان تعمد الى الخداع . فقد حسبتُ انك تلاقينا وجهاً لوجه ، وتبرز لنا برزة الابطال ، وكنت اجلّ قدرَك وارفعك عن الخيانة والغدر . فاذا انت تكمن لنا لتأخذنا غيلةً . قد كنّ ماكرٌ ، فلقيَ حتفه . وصاح نديم ، فهو في القيود . فخذ سيفك وامتنع ولا تقل ان هائلًا يأخذ غدرًا . ما لك لا تقبض على حسامك ؟ الستُ بكفوء لك ، فتستخفَّ بي ؟

شجاع : لا لا ، وربك.

ماكر : ماذا اذن ؟

شجاع : اني لا احسن المسايفة.

ماكر : قد تُحسن المطاعنة بالخناجر . خذ هذا الخنجر ، واثبت.

نديم : ارهم زندك ، يا شجاع . فانهم لا محالة هالكون.

رفيق : انه لا يحسن الطعن بالخناجر ، فاعرض عليه المصارعة.

ماكر : اوَ تودّ المصارعة ؟ فاثبت.(يشمّر عن ساعديه) انه كالصخر الجامد ليس فيه ما يدلّ على الحياة . أمثل هذا سار ذكرك وعلا قدرك ؟ لا امّ لك ، يا اجبن الجبناء واكذب الكاذبين . خذها من يدي (يوهم انه يطعنه بالخنجر)

شجاع : (يخرّ ساجداً) رحماك ! رحماك ! حياتي ! حياتي !

ماكر : لا رحمة للخادعين ! خذها. (يقع شجاع مغشيًا عليه) قد أغمي عليه..

الجميع : (يضحكون) يا له من شجاع !

نفطويه : لا بدَّ للرجل من الاختبار ، كما انه لا بدَّ للمبتدا من الخبر.

انَّ الرجال صناديقٌ مقفلةٌ وما مفاتيحُها الّا التجاريبُ !

(يسقط الستار)